اتهامات بالجملة لرواية الحكومة غير المكتملة حول تخزين الاسلحة:

الأردن وحماس تحاولان احتواء ملف الازمة خشية من تداعياته

عمان ـ «القدس العربي»

ـ من بسام البدارين:

لا يجد المسؤولون في الحكومة الاردنية ما يمنعهم من الاعتراف وتحديدا خلال الجلسات المغلقة بوجود خلل ما اعترى السيناريو الحكومي في التعامل الأخير مع ملف الأزمة مع حركة حماس واسلحتها المفترضة التي قالت الحكومة انها تخزن في الأردن فخلال مسح بانورامي لقرارات الحكومة اثناء جلسات خاصة سواء مع النواب أو مع اصدقائها من الاعلاميين والسياسيين يمكن ببساطة تلمس وجود اقرار ضمني بان الرواية الرسمية وبمعنى ادق الحكومية لم تكن لا صلبة ولا متماسكة.

وفي الواقع بدا ان التعاطي الاعلامي والسياسي حكوميا مع قصة اسلحة حماس الاخيرة مثار ليس فقط لانتقاد الحكومة واتهامها بضعف السيناريو الذي قدمته ولكن للتندر في بعض الاحيان، ففي وسط النخبة الاردنية يوجد كثيرون ممن انتقدوا حماس واداءها وازدواج خطابها ومحاولتها العبث في الساحة الاردنية، لكن يوجد قليلون بل نادرون ممن وافقوا على ان الحكومة الأردنية كانت موفقة في اقناع الرأي العام او حتى النخب السياسية.

وبعض الوزراء في الواقع قالوا لاصدقاء لهم بأن روايتنا لم تكن مقنعة او صلبة والمسؤولون مباشرة عن الرواية لم يجدوا الا الحرص على الشعب الفلسطيني ومصالحه كذريعة يمكن طرحها ردا على اي استفسارات نقدية تطالب بالكشف عن جميع المعلومات حول ما طرح بعنوان سعي حماس او تخطيط طرف فيها للعبث في الساحة الاردنية وهو عبث مرفوض جملة وتفصيلا من كل الاطياف والاطراف في المجتمع الاردني.

وحتى تكتمل دائرة غياب التوفيق في اداء الحكومة في هذا الاتجاه اقتصر الهجوم الشرس على حماس وعلى المتعاطفين معها وحتى على سورية على اثنين او ثلاثة فقط من انصار الحكومات المتعاقبة المعروفين اصلا بالمزاودة الكبيرة على كل من يحكم والمعروفين ايضا بوجود اجندة مسبقة لديهم تعادي ولا تعارض حركة حماس وتتضمن في الوقت نفسه عداء للشعب الفلسطيني وللعلاقة التاريخية المتميزة بين الشعبين حول ضفتي نهر الاردن.

ويعني ذلك ببساطة ان الحكومة لم توفق حتى بالاقلام التي عرضت خدماتها لها لمناصرتها وبرزت دلائل تعزز القناعة بان الرواية الحكومية للاحداث لازالت في الواقع منقوصة، فخلال ورشة تدريب لاعلاميين ايرانيين عقدت في تركيا وجهت عشرات الاسئلة حول ما حصل مع حماس لمدرب اردني وحيد تصادف وجوده في المكان وقبل ذلك اصدرت الحركة الوطنية الاردنية بيانا شديد اللهجة تتبرأ فيه ضمنيا من الانعكاسات التي تسيء للعلاقة بين الشعبين الاردني والفلسطيني بسبب طبيعة السيناريو الحكومي.

وفي الاثناء وبعد خروجه مباشرة من لقاء مع رئيس الوزراء معروف البخيت قال رئيس كتلة الاسلاميين في البرلمان عزام الهنيدي بانه لم يشعر بوجود قضية وبأنه لم يحصل على اي معلومة مفيدة تبرهن فعلا بان حماس استهدفت الأمن الاردني، ملمحا الى ان التيار الاسلامي كان يخطط فعلا لمحاسبة حماس او معاتبتها لو توفرت بين يديه معلومات رسمية تثبت بان جهة ما في حماس غيرت او تحاول تغيير قواعد اللعبة عبر العبث في الثوابت الأمنية الاردنية مشيرا ـ اي الهنيدي ـ الى ان الأمن في الاردن ثابت يتفق عليه الجميع داخل وخارج الاحزاب وداخل وخارج المعارضة وداخل فلسطين والاردن.

وفي الاثناء ايضا لم يحصل نواب كتلة برلمانية اخرى طلبت لقاء خاصا مع الرئيس معروف البخيت لكي تحصل على معلومات حول حقيقة ما جرى على اي معلومات جديدة، وعندما سئل الرئيس في هذا اللقاء عن وجود اشخاص ووقائع لها علاقة بتهريب السلاح افاد بوجود هذه الاشياء لكنه لم يفصح عنها مقرا وبصورة ضمنية وحسب نواب حضروا اللقاء وتحدثوا لـ«القدس العربي» بان خللا ما رافق فعلا الاعلان الحكومي عن القضية ومعيدا ذلك لاسباب لها علاقة بحساسية الموضوع وبسعي حكومته للحفاظ على موقع الاردن الثابت في دعم الشعب الفلسطيني.

البخيت وفي نفس اللقاء النيابي سمع من نواب يناصرون حركة حماس كلاما طيبا عن تحريم المساس بالامن الاردني وعن التضامن مع الاجهزة الامنية في ضرب اي محاولة للعبث الامني حتى اذا كان صادرا عن الاخوان او الاصدقاء في حماس لكنه سمع بالمقابل ومن نفس الالسن كلاما موازيا عن ضعف الرواية الحكومية وضعف اقناعها وعن وجود شغف لدى الاردنيين جميعا ومن شتى الاصول والمنابت لكي يعرفوا جميع الحقائق ويطلعوا على جميع البينات.

وبطبيعة الحال لم تعلق الحكومة بعد على شبه الاجماع في الاوساط السياسية والاعلامية والبرلمانية على ان روايتها كانت غريبة من حيث المضمون والتوقيت ومن حيث عدم وجود قصة متكاملة ازاء الحدث تعرض على الرأي العام بكامل حيثياتها وشخوصها ورموزها فقد اعتاد الرأي العام الاردني مؤخرا وكما قال النائب خليل عطية على شفافية متكاملة في اعلانات الحكومة المتصلة بالمسائل الامنية وتحديدا تلك التي تحاول المساس بأمن الاردنيين وايذاءهم.

ومن هنا لا يميل الكثيرون للتشكيك بالرواية الرسمية لكنهم يتساءلون عن اسباب غياب الشفافية المعتادة والحكومة حتى اليوم لا تجيب على الاسئلة ولا توضح كافة المعلومات المطلوبة وكل ما اعلن له علاقة بعمليات تخزين سلاح قامت بها حركة حماس في البلاد وبوجود شخصيات اردنية مهمة كانت هدفا للاغتيال وبوجود صواريخ وخطط لضرب مواقع مهمة وحيوية في المملكة.

وهذا الكلام عمليا يعني بان حركة حماس تعلن الحرب في الواقع على الأردنيين شعبا وحكومة وهو خيار يستغربه ويستبعده غالبية من علق على الاحداث او حاول فهمها لكن البيان الحكومي لم يحدد من هم الاشخاص الذين هربوا الاسلحة وطبيعة الاهداف الموضوعة للتخريب ولم يحدد ابطال المشهد المنتمين لحركة حماس علما بان احدا حتى الآن ايضا لا يشتري الرواية التي تكتفي بالتشكيك فقط بالحكومة وتدعي بان كل ما حصل هو افتعال هدفه تأجيل زيارة محمود الزهار، فوزير الخارجية الاردني المخضرم والذكي عبد الاله الخطيب كان يستطيع اختيار ذريعة من عشرات الذرائع لتأجيل التلاقي مع الزهار والقصة لم تكن تستحق كل هذه الاثارة.

ومن الواضح فان الحكومة الاردنية تبدو واثقة بان طرفا من حماس وليس حماس قد يكون متورطا بالتعاون مع طرف مجهول في حزب الله وبالتالي في المؤسسة الأمنية السورية ومن الأوضح ان السبب السياسي الذي دفع لتفجير القضية حكوميا قد يكون نفسه السبب الذي يدفع حكومة البخيت لتجاهل كل النداءات التي توجه لها تحت عنوان: «نريد المزيد من المعلومات».

والمفارقة هنا ان الحكومة لم تعد تملك في ظل الانفتاح الاعلامي الاضطراري وفي ظل الواقع الاعلامي الكوني والوطني الحق في رفض الروايات التي تشكك بروايتها لما حصل ما دامت تحجم عن الكشف عن المعلومات بكل تفاصيلها فمن لا يقدم المعلومات لا يستطيع وقف التشكيك، ومن لا يكشف عن كل ما لديه لا يستطيع المطالبة بالاكتفاء بروايته الضعيفة كما يقول رئيس مركز حريات وحماية الصحافيين نضال منصور.

والأهم الآن ان استدراكات تحصل وتم رصدها لتداعيات الأزمة، فجهة ما في دائرة القرار الاردني قدرت وقررت بان الضغط اكثر مما ينبغي على حماس الآن قد ينتهي بتفجير الوضع الأمني في الضفة والقطاع وقد ينتهي بمواجهات أهلية في فلسطين مما فسر القمة الثنائية مع مصر الطارئة في مدينة العقبة، وجهة ما في الوسط الحكومي قررت بان احتمال النقد والتشكيك بالرواية الضعيفة أقل سوءا من اعلان سيناريو غير مكتمل قد ينتهي بدفع الكتلة الأهم في قيادة حماس اكثر في أحضان طهران ودمشق ومحورهما وقد ينتهي وهذا الأهم اردنيا على الأقل بتضييق هوامش المناورة امام دعاة التقارب مع الاردن في قيادة حماس مثل الرئيس اسماعيل هنية وموسى ابو مرزوق.

اذا تشتم في عمان رائحة استدراكات، فقد توقف التصعيد الاعلامي ضد حماس مؤقتا، ولم يتم الاعلان عن ملف قضائي بأسماء محددة وتوجيهات الحكومة للاعلام والصحافة احتوائية وتركز على بحث القضية في اطار السلطة وليس على الشاشات او الصفحات والاهم ان النواب فهموا من الرئيس البخيت بان عمان تسعى لأن تترك للصلح مطرحا كما يقول المثل الشعبي، فالبخيت ابلغ بأنه تلقى اتصالاً من اسماعيل هنية وقال بان مكتبه الرئاسي على اتصال بمكتب رئيس الوزراء الفلسطيني.

اتهمها الاعلام والرأي العام الامريكي بعشق بن لادن

الممثلة سوزان سراندون المعارضة لغزو العراق تتعرض مع عائلتها لتهديدات بالقتل

لندن ـ «القدس العربي»:

قالت الممثلة الامريكية المعروفة، سوزان سراندون ان معارضتها للحرب على العراق جعلتها عرضة للتهديدات، وهجمات شرسة من عدد من المحافظين والمتحمسين للحرب ومن الاعلام على حد سواء.

وقالت الممثلة، زوجة الممثل المعروف تيم روبن الذي وقف ضد الحرب انها تأمل بلعب دور معارضة الحرب سيندي شيهان في فيلم يسحل عنوان «السلام يا امي»، والذي يتحدث عن الاحتجاج الذي بدأته شيهان ضد حرب العراق وغزوه بعد مقتل ابنها هناك.

واكدت الممثلة في تصريحات قالت انها بدأت تخشى على سلامتها الشخصية وسلامة عائلتها بسبب ما تعرضت له من هجمات في الصحف والتلفزيون في الحوارات الاذاعية التي تتلقى مكالمات من الرأي العام ومن قبل المواطنين في الشوارع. وجاءت تصريحاتها في مقابلة مع المذيع التلفزيوني البريطاني جوناثان ديمبلبي، الذي عرض على شاشة محطة تلفزيون «اي تي في» البريطانية.

وقالت ان موقفها جعلها في عين المدافعين عن الحرب وعن الادارة الامريكية انها «محبة لبن لادن». وقالت ان الصحف هاجمت ابناءها، مع انها قالت «لم اكن افكر ان احدا سيقوم بقتلي، مع ان بعضهم هدد بذلك»، حيث قال احدهم «اريد ان ارميها ارضا».

واكدت سراندون انها ابنة مدينة نيويورك التي تعرضت لهجمات ايلول (سبتمبر) 2001، وتأثرت بالهجمات كغيرها من المواطنين ولكنها هاجمت سياسات الرئيس الامريكي جورج بوش الذي قام باختطاف الهجمات.

ووصفت الاحداث قائلة «كنت هنا، وشاهدت المبنى وهو يتداعى، اطفالي كانوا في المدرسة، وقمت بجمعهم من خلال الدخان المتكاثف، وكان لي اصدقاء في تلك الطائرة، كل واحد في المدينة تأثر بالاحداث».

ولكنها قالت انه كلما تعرض الجمهوريون لنكسة فانهم يقومون بلعب هذه الورقة.

وانتقدت الديمقراطيين قائلة «لم يكن هناك اي سبب يجعل هيلاري كلينتون تصوت لصالح الغزو وكذلك جون كيري، كانوا يحاولون حماية سمعتهم، ولم يثبتوا امام الضغوط، وان تسأل اسئلة عن الحرب، كان الامر مخيفا وتشعر انك وحيدا، وهذا وضع مخيف في داخل ديمقراطية».

وقالت ان هيلاري كلينتون لا مبادئ لها «اعتقد انها سياسية مثل غيرها» من السياسيين. واضافت سراندون ان أي شخص يشكك في سياسة الولايات المتحدة يُصنف على أنه معاد لها. واردفت انه من المخيف حقاً أن تتواجد في مكان يلتزم الجميع فيه بالصمت ويحيدون بانظارهم بعيداً عن الواقع ولا يجرؤ أحد على التفوه بشيء.

وجاءت انتقادات سراندون لمناخ الخوف الامريكي، بعد ان انشغلت امريكا بتحولات مغني الريف المشهور الذي كان يوصف بأنه في صف بوش. واصبح البوم نيل يونغ، «العيش مع الحرب» من اكثر المواد جدلا في التلفاز والراديو وعلى مواقع الانترنت.

وقال يونغ ان شريطه الجديد هو ممارسة لحقه في حرية التعبير، وهو الشيء العظيم الذي يتميز به هذا البلد.

واضاف قائلا «لا احد يملك حق احتكار عقلية 11/9، انها تعود لبوش وعائلته، وكيري وعائلته، وعائلتي». ويدعو يونغ في شريطه الجديد الى محاكمة جورج بوش، بتهمة الكذب تحت القسم وتضليل الرأي العام بشأن الحرب على العراق، حيث يقول «دعونا نحاكم الرئيس لانه كذب، وقاد بلادنا للحرب، واساءة استخدام السلطات التي منحناها اياه، ونقل اموالنا للخارج».

ويدور البوم يونغ الجديد حول فكرة واحدة ومهمة ووطنية، وهي ان جورج بوش سرق امريكا من الامريكيين.

محاولات لمصالحة النظام مع القضاة.. وحملات ضد سياسة الامن مع اهالي سيناء.. وسخرية من ذعر النظام من الاعلاميين و«الجزيرة»

الحكومة تمدد الطوارئ.. هجمات ضارية ضد مبارك تصفه بالفرعون.. وصحافيون حكوميون ينتقدون النظام لتراخيه مع المعارضين

القاهرة ـ «القدس العربي»

ـ من حسنين كروم:

كانت الاخبار والموضوعات الرئيسية في الصحف المصرية الصادرة يومي السبت والاحد عن المحادثات بين الرئيس مبارك والعاهل الاردني الملك عبد الله في مدينة العقبة واستمرار قوات الامن في عمليات التفتيش واسعة النطاق في سيناء بحثا عن الارهابيين المتورطين في العمليات الارهابية الاخيرة بدهب بجنوب سيناء وشمالها وتقدم عدد كبير من اعضاء مجلس الشعب من الاخوان والمستقلين باستجوابات لوزيري العدل والداخلية عن الاعتداءات على القضاة واحالة عدد منهم للجنة الصلاحية والمطالبة بعزلهما واجتماع مجلس الوزراء وتقدمه بطلب لمجلس الشعب لتمديد العمل بقانون الطوارئ لمدة عامين لحين اعداد قانون جديد للارهاب يحل محله ايهما اقرب وموافقته على حق الزوج في الحصول على معاش زوجته المتوفاة واجتماع لجنة السياسات برئاسة جمال مبارك واعدادها ورقة طالبت فيها بايقاظ الضمير الوطني واتخاذ موقف موحد لاعضاء الحزب بمجلس الشعب وافتتاح نبيل العزبي محافظ اسيوط مشروعات صغيرة بقيمة ستة ملايين جنيه واحالة عدد من الاطباء بالتأمين الصحي في محافظة قنا للتحقيق والاستعدادات للامتحانات واستمرار تحقيقات النيابة العامة مع المتهمين باقتحام مقر حزب الوفد وحبس 21 من اعضاء حركة «كفاية» خمسة عشر يوما والقبض على ثمانية بتهمة الانتماء للجبهة الوطنية للتغيير واستمرار القضاة في اعتصامهم ومحاولات جديدة لايجاد مخرج للأزمة بينهم وبين النظام. وإلى بعض ما لدينا في تقرير اليوم:

دهب والارهاب

ونبدأ بأبرز ما نشر عن العمليات الارهابية في سيناء والبحث عن اسبابها وطرق معالجتها واوله لزميلنا وصديقنا بـ«الجمهورية» لطفي ناصف الذي قال يوم السبت: «ان المبالغة في استخدام الاساليب الامنية الى جانب المبالغة في ردود الفعل من جانب الامن عند حدوث مثل تلك التفجيرات وتوسيع دائرة الاشتباه جعل هناك احساسا بالظلم لدى فئات واسعة مثلما حدث في سيناء بعد احداث شرم الشيخ وطابا، ان من قاموا بتلك التفجيرات في هذه المرة والمرات الماضية هم من بين المناطق المهمشة في سيناء، فابناء سيناء يعانون من البطالة ويشكون من تسليم اراضيهم للمستثمرين من خارج سيناء لاقامة مشروعاتهم عليها ثم يستوردون العمالة من خارج سيناء، اننا نشعر بضرورة العمل على حل مشاكل ابناء سيناء وذلك بالعمل الجاد على تنفيذ المشروع القومي لتنمية سيناء والذي مازال معطلا منذ سنوات طويلة، نعم هناك خدمات تتمثل في البنية الاساسية من مدارس ومستشفيات وكهرباء ومياه ولكن مازال ابناء سيناء بعيدين عن الاستفادة من تلك الخدمات لان معظمهم من الاميين الذين لا يجدون اية فرصة للعمل الى جانب تعرضهم المستمر لاتهامات الشرطة لهم بالتهريب.

ان حل مشكلات اهل سيناء وتوفير الرعاية لهم يخفف بالفعل احد منابع الارهاب».

ونترك جمهورية السبت ولطفي ناصف الى زميلنا وصديقنا مكرم محمد احمد ومقاله في «اهرام» نفس اليوم وقوله فيه: «وما حدث في دهب اخيرا هو في الحقيقة اكبر من ان يكون عملا محليا لخلية عشوائية نشأت في سيناء، كما انه اكبر كثيرا من ان يكون كما يردد البعض عملا انتقاميا ارتكبه بعض اهالي سيناء ردا على اجهزة الامن التي توسعت في الاشتباه في حادث تفجير شرم الشيخ، الامر الذي يتطلب اعادة نظر شاملة تضع قضية الارهاب في سيناء على رأس اولويات الحكومة، وتعالجها بفكر جديد يضمن دقة الحساب ويقظة المتابعة، ويبذل كل الجهود الممكنة لكسب افئدة وقلوب المجتمع السيناوي وليس معاداته الذي ينبغي ان يكون ابناؤه اول المستفيدين من هذه المشروعات السياحية التي تجرى هناك لانه بدون عون الاهالي وفي غيبة احساسهم بان قضية الارهاب تتعلق بأمنهم وارزاقهم يصعب على الجهد الرسمي وحده ان يحقق النجاح وهذا هو موجز الدرس القاسي الذي تعلمته مصر من حربها المستمرة على الارهاب لأكثر من 20 عاما، ولا يعني هذا القول الدفاع عن استمرار قانون الطوارئ الذي ثبت بما لا يدع المجال لأي شك انه لم يحقق اي انجاز حقيقي في قضية الامن الوطني والحرب على الارهاب».

ومنه الى زميلنا وائل الابراشي رئيس التحرير التنفيذي لـ«صوت الامة»، وقوله: «حذرنا اكثر من مرة وصرخنا قائلين: اهالي سيناء يعانون من عنصرية النظام ووحشية الامن ضدهم. لقد وصل الامر الى حد ربط ضفائر النساء في بعضها البعض وجرهن على الارض وذلك لاجبار اشقائهن وابنائهن على تسليم أنفسهم وذلك بعد تفجيرات طابا ثم تفجيرات شرم الشيخ. هذا نموذج واحد من نماذج التعذيب الوحشي والمعاملة الامنية السيئة التي يعاني منها اهالي سيناء، اما العنصرية فقد وصلت الى حد منع اهالي سيناء من العمل في وظائف حساسة ومهمة ومنع ابنائهم من دخول كليات الشرطة ودخول هيئات قضائية بل ووصلت الى حد التشكيك في ولاء اعداد كبيرة منهم للوطن: قال لي احدهم غاضبا: النظام ينظر الينا من زاويتين: اما تجار مخدرات او عملاء لاسرائيل، ثم كانت الجريمة الكبرى وهي تعمد افقار سيناء الى حد ان المنطقة الوسطى في سيناء توصف بأنها من اكثر مناطق العالم فقرا، لقد ارتكب النظام المصري جرائم لا حصر لها في سيناء وتركها مهملة بلا تنمية او رعاية، الصراحة تقتضي ان اقول ان اهالي سيناء يكرهون النظام في مصر كراهية شديدة الى درجة انهم يقولون: تحررنا من الاحتلال الاسرائيلي والآن نعاني من ممارسة الاحتلال الامني، قد يكون الكلام قاسيا ولكن هذا هو ما اسمعه من اهالي سيناء الذين يعانون الفقر والبطالة والاهمال والعنصرية والوحشية الامنية، كان من الطبيعي ان يخرج من هذه المعاناة النفسية والمعيشية والاقتصادية والاجتماعية اجيالا محبطة من الشباب تضل الطريق وتخرب الوطن معتقدة انها بذلك تنتقم من النظم وترد على ممارساته الوحشية ضدها بينما هي في الحقيقة تدمر مصالح الشعب، القتلة الحقيقيون في تفجيرات دهب هم المسؤولون عن تعذيب اهالي سيناء وعن العنصرية ضدهم وعن تعمد إفقارهم، وبدلا من ان نمنح اهالي سيناء الاوسمة على ما قدموه للوطن ضربناهم بالجزمة الامنية».

ونفس التقييم اتفق فيه بشكل او بآخر زميلنا المحلل السياسي الكبير بـ«الاهرام» سلامة احمد سلامة الذي قال امس في عموده اليومي بـ«الاهرام» ـ من قريب ـ: «والاكثر دلالة وخطورة هو ان وقوع هذه الاحداث في شكل عمليات انتحارية، ما يعني ان مرتكبيها يتخذون موقفا عدائيا عقائديا ضد الوطن الذي يعيشون فيه، كما يعني بدرجة اكبر فشل الاعتماد على السياسات الامنية التي ظلت لها اليد العليا على ادارة سيناء سواء عسكريا او امنيا.

ولذلك يصبح من القصور النظر الى هذه الاحداث باعتبارها مجرد نشاط من انشطة التطرف الذي يفضي الى العنف والارهاب، فمن المؤكد ان غياب الحقيقة للمجتمع السيناوي واهمال مصالح اهله واعتبارهم عبئا على الاستقرار الامني والرخاء الاجتماعي الذي تتمتع به بؤر الثراء والنفوذ الاقتصادي على شواطئ البحر الاحمر هو افضل حليف للتطرف المتفجر من مشاعر المرارة وهو ما يذكرني بأحداث الشغب التي قام بها الجوعى والمطحونون من جنود معسكرات الامن المركزي على اطراف القاهرة، عندما هاجموا شارع الهرم وفنادقه وملاهيه قبل بضع سنوات».

لا، لا، هذا الكلام مجرد حيل وألاعيب لتسديد ضربات للأمن ولوزير الداخلية وقد كشفها لنا مشكورا مأجورا زميلنا وصديقنا كرم جبر رئيس مجلس ادارة «روزاليوسف» بقوله في المجلة: «رغم ان الاطاحة بوزير الداخلية لا تضمن عدم وقوع حوادث ارهابية جديدة إلا ان البعض يختصر الازمة وعلاجها ويشخص الداء والدواء في إقالة وزير الداخلية، ولا يقع اي حادث إلا وتعقبه فورا المطالبة بإقالة الوزير، وتزداد دائرة الهجوم لتشمل المنظومة الامنية كلها وكأننا نعيش في غابة ليس فيها امن ولا امان، او بلد يعيش في احضان الخوف ويستيقظ على طلقات الرصاص، اخشى ان يحبط مثل هذا الكلام جهاز الامن كله، ويشعر افراده باليأس وعدم تقدير التضحيات الكبيرة التي يقومون بها بالليل والنهار، فنحن لا نذكر لهم سوى السلبيات والاخطاء ونجسدها ونضخمها ونضعها تحت الميكروسكوب، اما حسناتهم فلا يذكرها احد وكأنهم اشرار لا يفعلون سوى شر، وكأن الاطاحة بوزيرهم هي المنقذ من الارهاب.

مشعلو نار الفتنة يريدون ذلك حتى تعم الفوضى ويسودوا ويكون لهم مكان، رغم ان الفوضى لا تعترف بمن يبدأها وتأخذ في طريقها الجميع».

معارك وردود

والى المعارك والردود وأولها ستكون من نصيب زميلنا ممتاز القط رئيس تحرير «اخبار اليوم» الذي شن هجوما عنيفا ضد امريكا والدكتور سعد الدين ابراهيم مدير مركز ابن خلدون للدراسات الانمائية بسبب حديثه في قناة «الجزيرة» ومهاجمته النظام الحاكم. وطالب ممتاز باتخاذ اجراءات صارمة ضد من اطلق عليهم الافاعي كما انتقد عدم حسم الحكومة معهم، فقال بعد ان بلغ به الغضب مبلغه من الافاعي:

«دعونا نعترف بان اكثر خطر تواجهه مصر الآن، هو اسلوب الايدي المرتعشة او امساك العصا من المنتصف، والرقص على السلالم، وذلك في التعامل مع كل خروج على القانون والشرعية!!

تحت شعار الحرية والديمقراطية والاصلاح ترتكب اليوم اكبر جريمة في حق الوطن، ان الحرية والاصلاح لا يمكن ان يتحولا بجهل البعض منا الى فوضى عارمة. ويبدو ان الدكتور سعد الدين ابراهيم قد استهوته لعبة السياسة والتبشير بالديمقراطية والاصلاح واسلوب العجز الذي تستخدمه الاجهزة المسؤولة في التعامل معه او مع غيره من الافاعي التي خرجت من جحورها تنفث سمومها واحقادها الدفينة في مجتمعنا دون رادع من قانون او وخز ضمير ارتضى بالدولارات والريالات بديلا للوطنية والانتماء لتراب مصر، يعتقد ان جواز سفره الامريكي يمكن ان يحميه من الاتهام بارتكاب جريمة النيل من وطن، وشعب، والغريب هو العلاقة الوثيقة التي بدأت تجمعه مع جماعة الاخوان المسلمين المحظورة وتقديم الاخوان للادارة الامريكية في محاولة لنيل رضاها ودعمها ومساندتها، وكذلك اتصالاته المريبة لتأليب الاقباط، ومحاولة النيل من الوحدة الوطنية بمصر، الذين يبيعون الاوطان بأبخس ثمن لا حرج عليهم ولا ملامة لهم، ولكن الملامة يجب ان تكون لانفسنا ولقوانين عرجاء نصيبها بالشلل، عندما نجعلها عاجزة عن هؤلاء الذين يعيثون في مصر فسادا وافسادا.

ان افساد العقول وتخريب مشاعر الوطنية وقتل روح الانتماء جريمة اكبر من ان تغتفر».

ايضا ابدى زميلنا وصديقنا ورئيس تحرير «الاهرام» اسامة سرايا غضبا خفيفا من الهجمات الصحافية ضد النظام وكل اعماله بقوله في نفس اليوم: «ان هذه الممارسات الصحافية والاعلامية تطرح بشدة مسؤولية الكلمة المنشورة او المذاعة وهي مسؤولية طرحتها دول سبقتنا طويلا في التطور الديمقراطي وحرية التعبير، وحين ننادي بالالتزام بهذه المسؤولية فانني ارى ان هذه الدعوة يجب ان يقوم بها الصحافيون والاعلاميون طوعا دون اكراه او امتثالا لسلطة من خارج الصحافة ودون مساس بمستويات الحرية التي بلغناها، فقط اذكر الجميع بجيل الشباب الذي يتعين ان نفتح امامه ابواب الامل في غد افضل، والا تكون الصحافة مصدرا للتوتر والقلق له، الويل كل الويل لقلب يتجرع كل يوم السم قطرة، وانني اربأ بالصحافة ان تكون مصدرا لتلك السموم التي تجعله نهبا لافكار التطرف وتدفعه الى الارهاب».

ومن اسامة و«الاهرام» الى زميلنا عبد الله كمال رئيس تحرير جريدة «روزاليوسف» وقوله امس ـ الاحد ـ في بابه اليومي ـ ولكن ـ عن المعارضة: «كثير من المعارضين ليسوا اطهارا وكثير منهم اصحاب مصالح ويسعى الى تحقيق فائدة ذاتية وان قال في كل محفل وعلى كل شاشة انه يسعى للصالح العام والمشكلة ان كل المعارضين يعرفون ذلك ويتغاضون وفي نفس الوقت يرفضون ان يمنحوا الاخرين حقهم في اعلان رأيهم لن تكسب المعارضة بهذه الطريقة، لن تحقق هدفا، ولن تنال حكما، ليس فقط لان بنيتها قائمة على تناقض وشرعيتها غير صادقة ولا ان خطابها يتحرك على اساس اجندة خارجية وربما في كثير من الاحيان تمويل غير معلن ولكن وهذا هو الاهم لان الرأي العام يملك من الفطنة ما يدفعه لاكتشاف الحقيقة».

والى وجهات نظر اخرى، فمثلا قال زميلنا وصديقنا بـ«الجمهورية» محمد العزبي يوم السبت في عموده اليومي «المضحك» ان بعض البيانات والمقالات التي تخرج دفاعا عما يجري بالحق وبالباطل تلجأ لمنطق لا يصدقه عقل وتتخذ اسلوبا لا يقنع احدا فتأتي نتائجها عكسية، فمن اهم ما اصابنا جميعا هو عدم التصديق!! اعتقد ان هناك من يستهويه تصعيد المواقف، بينما الخطر الحقيقي يتربص بالجميع ويأتينا البرهان مرة بعد مرة، آخرها كانت تفجيرات سيناء».

وإذا كان محمد يقول ذلك في صحيفة حكومية فماذا نتوقع ان يقول زميلنا وصديقنا ابراهيم عيسى رئيس تحرير «صوت الامة»؟ قال واللهب يخرج من فمه ليتجه الى زملائنا من انصار النظام: «عندما يصاب نظام حكم مبارك بالذعر من خبر في قناة الجزيرة بينما لديه قنواته وفضائياته ومراسلوه ومنافقوه وموظفوه ومواليه ومدلسوه ولاحسو حذائه إعلاميا، فهذا نظام يعلن فشل اعلامه وقطاع اخباره وقطعان منافقيه فهو لا يؤثر في احد ولا يصل لاحد ولا يصدقه احد، بالدليل ان عشرات البرامج التافهة التي يقدمها ومحلليهم ومقدميهم متوسطو الموهبة منهارو الشعبية لا يتمتعون بمصداقية خبر عن مصر في قناة «الجزيرة» فكان كل رجالته ومعلمينه ورؤساء التحرير الفحول الذين يستضيفونهم في برامجهم لا يساوون في الصدقية والشعبية والجماهيرية خبرا او تحليلا يقدمه حسين عبدالغني او سمير عمر ولينا الغضبان وعمرو الكحكي في الجزيرة! انه اعلان فاضح عن الفشل الاعلامي الحكومي الذي لم نر واحدا من رجالاته يدين هذه المعاملة الواطية لزميل صحافي واعلامي هو حسين عبدالغني، اين رجولتكم واحترامكم لانفسكم وانتم تتفرجون على ما جرى لزميلكم؟! إعلام مصر الحكومي الآن هو إعلام غوبلز بالحرف واللفظ، إعلام التضليل والدعاية السوداء والنفاق الرخيص، إعلام غوبلز ولكنه رديء جدا وبكفاءة متواضعة، عموما اظن ان ثقافة انس الفقي لا تمكنه من معرفة غوبلز لكن اللي يسأل ايها الوزير الموسوعة ميتوهش!

عندما يرتعب نظام حكم من ثلاث او اربع صحف خاصة بينما يملك عشرات الجرائد الحكومية بآلاف العاملين والمحررين وبكتبة نفاق وكتيبة مخبرين وقادة فيالق صحافية مبحثية ورؤساء كالخدم في بلاط صاحب الجلالة وليس صاحبة الجلالة ينفقون مئات الملايين على مؤسساتهم واجورهم ومكافآتهم وسمسرتهم وعمولاتهم فهذا معناه ان صحف الحكومة الموالية والمنافقة لا تملك قدرة التأثير على الناس ولا امكانية الاقناع وبدلا من مدارات فشلهم وتهاوي مهنتهم وضعف قدرتهم وتراجع مصداقيتهم لا يملكون سوى الدعوة لاغلاق الصحف الخاصة والاتهامات الوضيعة لها كأن المرجفين الفاشلين المخبرين المفسدين المضللين لا يستطيعون مقاومة مئة صفحة في الاسبوع وهم يملكون آلاف الصفحات! كشفت ضعفهم وتهافتهم وكذبهم وهشاشة مهنتهم وانحدار موهبتهم!

ثم ماذا كسب النظام من القبض على حسين عبدالغني مدير مكتب «الجزيرة» ومعاملته الامنية الخشنة الفظة؟ هل صمتت قناة الجزيرة وخرست، لقد نقلت احداث الجمعية العمومية للقضاة على الهواء مباشرة واعادت عرض صور الاعتداء على المتظاهرين مئات المرات، وشاهد العالم النظام المصري متلبسا بالقبض على اعلامي لمنع بث الحقيقة وبالتنكيل بكل من يعلن الحقيقة في مصر وادرك الجميع فشل الاعلام المصري بملياراته ومنافقيه في مواجهة الاعلام العربي، فبدا اعلام مصر صغيرا ضئيلا كذوبا امام الجزيرة والعربية والحرة وغيرها.. ظهر اعلاميو الحكومة في حاجة ماسة لحماية رجال الحكم والامن بتهديد زملائهم في المحطات الاخرى حتى يتوقفوا عن التفوق وسحق تليفزيون الفقي! النظام يخسر فهو فضلا عن انه فاشل كذلك فقد عقله ـ ان كان موجودا ـ».

الرئيس مبارك

واخيرا الى رئيسنا وهجمات ضده لا يمكن ان ترضيني وكيف ارضى وكاريكاتير جريدة «العربي» لن لا يمكن ان يكون زميلا لنا وهو عصام حنفي، عن لوحة للشرف فيها صورتا المستشار محمود مكي والمستشار هشام البسطويسي المحالين الى لجنة الصلاحية وبجوارهما صندوق قمامة وبداخله رسم للرئيس من الخلف واشارة اليه بكلمة ـ طغاة ـ ثم المقال المصيبة الذي كتبه من لم يعد زميلي ولا صديقي سليمان الحكيم وهو يقول عن رئيسنا وقد بلغ به الحقد مبلغه:

«وحين نصل الى فرعون مصر الحالي، نجد شعورا امرا بالنقص والاحساس بالدونية يملك عليه كل خلجة من خلجات نفسه، وفي الطرف الآخر نجد مشاعر اخرى تتنازعه نحو العظمة وتأكيد الذات والرغبة في البقاء والخلود، «اليس لي ملك مصر»، نعم ولكني اعرف اكثر من اي احد غيري انني اقل «من ملك مصر» ودون الكثيرين ممن يستحقون ذلك الملك ويقدرون عليه ولهذا فقد اطلق شعار «بناء على توجيهات السيد الرئيس» التي ينسب فيها لنفسه اي عمل يقوم به الاخرون لمجرد الشعور بالتفرد وتأكيد الذات والايماء بانه يملك القدرة على التوجيه والقيادة والامساك بزمام الامور ـ كل الامور في يده! انه يرفض الاعتراف بالعجز وفقدان القدرة على التخيل والقيام بمبادرات لمجرد ان له «ملك مصر» الذي لا يعطى إلا لكل قوي عتيد فقد اغرق ملك مصر كل فراعينها بالعلو في الارض فخرجوا للغزو، والفتح في مشارق الارض ومغاربها، رغبة في تسجيل اسمائهم في اعالي الجبال وعلى ضفاف الانهار من حولهم «فماذا يفعل هذا الفرعون وهو العاجز عن تسجيل اسمه حتى على ضفاف النيل، وفيما وراء جبل المقطم الذي يحيط بعاصمته؟!

اكتفى بتسجيل اسمه في تاريخ كرة القدم كأول فرعون تحرز مصر في عهده ثلاث بطولات افريقية، حشد لها كل رايات مصر واعلامها لترفرف في مدرجات استاد القاهرة».

وانا مضطر للتوقف عند هذا الحد من هذا المقال السيئ حتى افكر ان كنت سأشير الى ما بقي فيه من سوء في تقرير الغد، ام لا، والاغلب الاعم انني سأتجاهله بعد ان توترت اعصابي، وقام بزيادة توترها دون مراعاة لحالتي وانا المريض بضغط الدم المرتفع من لم يعد زميلي ولا صديقي محمد حماد ونائب رئيس التحرير الذي قال بدوره ـ وبئس ما قال ـ في عموده ـ سؤال بريء ـ رغم خلوه من اي براءة:

«لم نعش يوما كل هذا العبث بمصير البلد وبمستقبله، حالة لم تعهدها مصر، رئيس يمسك بخناق البلد على حافة الهاوية ولا مبالاة غير محدودة امام مخاطر حقيقية تحيق بالنظام وتخنق البلد وتضعه في مهب ريح صرصر عاتية، ولا احد يتحرك او يحرك ساكنا امام وطن يكاد يحترق بمن فيه، تأكله نيران الفتنة الراقدة تحت جمر مشتعل، وتتحرك في جوفه تيارات للارهاب اطلت برأسها منذ اكثر من تسعة عشر شهرا وأوضاع معيشية تسوء كل يوم بوتيرة متسارعة، لا يمكن ان يحكم بلد في حجم مصر وتاريخها بالعناد، وقد وصل العمى الى الحد الذي لا يرى اهل الحكم غير مجالس التأديب اسلوبا للتعامل مع القضاة، وهل يحتاج قضاة مصر الى تأديب، ام ان غيرهم احوج اليه!

لقد فاق طغيانكم كل حد، ولم يعد يفرق بين القضاة رموز العدل وسدنته وبين المسجلين خطر فيسحل قاض في الشارع وبأيد احقر من ان تصافحه فضلا عن ان تؤذيه! نحن لا نطلب منكم ان تكونوا ديمقراطيين، فقط كونوا بني آدميين، كونوا ديكتاتوريين، او كونوا كما تشاءون فقط لا تأخذوا البلد معكم الى جحيم!».

اعوذ بالله، ولله الحمد ان تخلصت من عبء ما سبق لكن حظي التعس اوقعني مرة ثالثة مع زميلنا الاخواني وعضو مجلس نقابة الصحافيين ـ محمد عبدالقدوس ـ في عموده بجريدة «الحقيقة» ـ ضمير الناس ـ الذي قال فيه ـ وياعيب ما قال ـ: «يوم الخميس القادم يحتفل الرئيس مبارك بعيد ميلاده ويقترب رئيسنا من الثمانين من عمره وسيبلغ هذا العام الثامنة والسبعين وانت لا تستطيع القول انه في احسن حالاته فكثير من تصريحاته يجانبها الصواب!! وقبل اسابيع قليلة وقعت ازمة عنيفة بعدما اتهم شيعة العراق ان ولاءهم لايران!

وإذا تأملت تصريحات الرئيس الاخرى تجدها بعيدة جدا عن التشخيص الدقيق للواقع، فهو مثلا سعيد للغاية بالتعديل الذي اجراه في المادة 76 من الدستور مع ان اهل التخصص من رجال القانون يرون انها كانت بالغة السوء وفرضت قيودا شديدة على حرية الترشيح لرئاسة الدولة! وتراه كذلك فخورا بانتخابات الرئاسة التي كانت مهزلة معروفة نتائجها سلفا! اما انتخاب نواب الشعب فكانت فضيحة بكل المقاييس اساءت الى مصر في العالمين خصوصا انها اسفرت عن سقوط اربعة عشر شهيدا ومئات من الجرحى!

ورئيسنا لا يدري شيئا عن اسباب تكرار الصدام بين المسلمين والاقباط ويراها مجرد فتنة عارضة يحاول دوما التقليل من شأنها!

وفي السنوات الاخيرة اتسعت دائرة الخلاف بينه وبين منظمات المجتمع المدني لتشمل حتى القضاة! ومازال يصر على رفض رفع الحراسة عن نقابة المهندسين او اجراء انتخابات في الاطباء! وهذا التخبط لا تستطيع ان ترجعه الى عامل السن وحده بل رفضه الاستماع الى من يخالفه في الرأي وغياب من ينصحه باخلاص! وكلامه بمثابة اوامر وتشريعات عدا استثناء واحد يتمثل في رغبته العناء الحبس في قضايا النشر! ولم ينفذ هذا القرار حتى هذه اللحظة برغم مرور سنوات عليه، وكل سنة وانت طيب يا ريس!».

طبعا، كل سنة ورئيسنا طيب رغم انف ذلك الاخواني الذي لا يريد هو او غيره رؤية الجوانب الاخرى لاصابتهم بعمى البصر والبصيرة، الذي يتمتع به زميلنا بـ«الاخبار» محمد الهواري وقوله امس، وانعم بما قال: «نحن بالفعل على الطريق الصحيح الآن، تجاوز الاقتصاد المصري ازمته وبدأ طريق الانطلاق، ورغم التحديات والظروف كما قال الرئيس مبارك في خطابه للعمال استقرت اسعار الصرف وزادت احتياطيات البنك المركزي وحققنا معدل نمو 6,1 % لأول مرة من 10 سنوات وارتفع معدل النمو في القطاع الصناعي بل ايضا وفي قطاع التشييد والمقاولات، وزادت صادراتنا الصناعية والزراعية وتحقق نمو غير مسبوق بقطاعات البترول والغاز والتعدين والسياح، لا شك ان كل هذه الجهود وراءها الحكومة، استطاعت ببذل الجهد المضاعف في تحقيقها، وقاد هذه الجهود بنفسه الرئيس مبارك في جولاته المتكررة الى مختلف الدول العربية والاجنبية حيث يضع التعاون الاقتصادي على رأس اجندة المباحثات مع قادة دول العالم».

ومن «الاخبار» الى «الجمهورية» وقول زميلنا جمال المكاوي: «تحية تقدير للرئيس مبارك، على استقباله لبطل الاسكواش العالمي عمرو شبانة، وتكريمه على انجازاته الدولية الاسطورية!! والذي يؤكد فعلا ان مبارك رب الاسرة وكبير العائلة وراعي الجميع دون تفريق مع دعم وتقدير للابطال والناجحين ليس كما يفعل الاعلام بتسليط اضوائه على نجوم الكرة والفنانين!!».

طبعا، وليس ذلك فحسب وانما قام زميلنا عبدالله كمال رئيس تحرير مجلة «روزاليوسف» بتحليل لخطاب رئيسنا في عيد العمال فقال عنه: «عادة ما يكون مسار تلك الخطابات تراتبيا، كل منها يضيف الى ما قبله، ثم وفي لحظة ما وفي اطار تفاعل المتغيرات، وبعد ان تكون الافكار والمعاني قد بلغت قطاعات الرأي العام، يفجر الرئيس في مرحلة ما معنى من نوع يقود الى تحول كبير في مسار الحياة العامة.

وبالطبع فان الرئيس لا يعلن في كل يوم عن مبادرة من نوع مبادرة المنوفية التي قاد بها التحول الدستوري في تاريخ مصر، لكنه في خطابين او اكثر خلال العام يعلن عن افكار تمثل تحولا في طريقة التفكير وانطلاقا الى نقطة بعد في خطابه الاخير في احتفال عيد العمال القى مبارك «كلمة ـ محطة» نقطة ارتكاز، قاعدة في تجاه مرحلة مختلفة، واستخدم عبارات قوية جدا، ومفهومة بالمعاني، ومليئة بالدلالات وواجه فيها الرأي العام باجابات عن كل ما يطرحه من تساؤلات.

على سبيل المثال، فان الرئيس ركز في خطابه هذا على مبدأ شديد الاهمية وهو يتحدث عن برنامجه الانتخابي وهو يؤكد انه لم يكن وعودا، ولن يكون كلاما، والمبدأ هو ان البرنامج ليس مسؤولية مجلس الشعب، ومن المعروف بالطبع ان الرئيس وفريق حملته الانتخابية قد صنع ترابطا وثيقا ما بين تطبيق عيد العمال ينقل هذه المسؤولية الثلاثية للبرنامج «الرئيس ـ الحكومة ـ مجلس الشعب».

ولكنه وهو يختتم خطابه، يعود الى لغة المثلثات، وهو يوجه التحية.

تحية لعمال مصر وعاملاتها.

تحية لكل مستثمر يفتح بابا للرزق.

تحية لكل جهد مخلص في خدمة الوطن.

وقد كان دعاؤه ثلاثيا ايضا: «ان يبارك مسيرتنا»، «ان يسدد خطانا»، «ان يحفظ مصر وطنا ابيا عزيزا».

ولم تكن هذه الثلاثية مجرد رقم، وانما تعبير عن قيمة الشكل الهندسي الارتكازي الذي يستند الى قاعدة ويتوجه نحو هدف، وعن اصرار وعن تراتبية تصاعدية، وعن تناغم بين السلطات الدستورية «التشريعية والتنفيذية والقضاء». لقد كان خطابا مختلفا».

وهكذا يكون الكلام عن رئيسنا وإلا، فلا، والذي اتمنى ان اشير اليه وحده، ولذلك سأنهي التقرير بسرعة لاغلق بابه امام الحاقدين الذين يهرولون لعرض بضاعتهم السيئة علي.